مقياس: النقد الأدبي العربي الحديث

السنة الثانية ليسانس (دراسات أدبية/ دراسات نقدية)

المحاضرة الثامنة: الرابطة القلمية (كتاب الغربال لميخائيل نعيمة نموذجا)

1- التعريف بالرابطة القلمية:

للأدب والنقد المهجريين أهمية كبيرة في ترسيخ معالم التجديد في الوطن العربي، ونقل الآداب من أمة إلى أخرى عن طريق الترجمة، وتأكيد مبدأ التأثر والتأثير بين الأدب العربي والغربي في العصر الحديث.

والرابطة القلمية هي أحد أطراف أدب المهجر الذي اتخذ من الغرب قطبا لإحداث التجديد في الأدب العربي ونقده.

وقد بدأت فكرة الرابطة عام 1916 إلا أنها تأسست رسميا عام 1920 في نيويورك(المهجر الشمالي)، على يد نخبة من الأدباء.

وذكر ميخائيل نعيمة أن الرابطة تأسست بعد جلستين، عُقدت أولاهما في منزل عبد المسيح حداد، مالك ورئيس تحرير جريدة السائح، بتاريخ 20 أفريل 1920، وورد في محضر هذه الجلسة التي دونها نعيمة بيده على حد تأكيده، أن: "أحدهم رأى أن تكون لأدباء المهجر رابطة تضم قواهم وتوحد مسعاهم في سبيل اللغة العربية وآدابها، فوافقت الفكرة استحسان كل الأدباء الحاضرين"؛ وهم :جبران، نسيب عريضة، وليم كاتسفليس، رشيد أيوب، عبد المسيح حداد، ندرة حداد، ميخائيل نعيمة.

وفي 28 من الشهر نفسه، عقدت الجلسة الثانية والحاسمة في منزل جبران بحضور الأدباء الذين حضروا الجلسة التمهيدية، إضافة إلى الأديب إلياس عطا الله، وتمت الموافقة على

دستور الرابطة، وانتخب المؤسسون جبران عميدا للرابطة، وميخائيل نعيمة مستشارا، ووليم كاتسفليس خازنا، وكلفوا نعيمة مهمة تنظيم قانونها.

هكذا تأسست الرابطة القلمية في المهجر، وضمت أدباء جمعت بينهم الغربة، كما تميزوا بالذوق الفني والميول الأدبية والفكر المتقارب؛ إذ تميزوا عن غيرهم باتجاههم الفلسفي في الكتابة، وتأثرهم بالمذهب الرومانسي، كما جمعهم الهدف الواحد وهو بث روح التجديد وجعل التجربة الكتابية تنفتح على آفاق أوسع.

وقد فتح لهم 'عبد المسيح حداد' مجلته (السائح) لينشروا فيها إبداعاتهم ومقالاتهم، وكانت تصدر عددا كل عام، إضافة إلى مجلة (الفنون) لنسيب عريضة، ومجلة (السمير) لإيليا أبي ماضي.

2- مظاهر التجديد عند الرابطة القلمية:

اتجه أعضاء الرابطة القلمية اتجاها رومانسيا؛ إذ اهتموا بقضية التأمل في الوجود والنفس الإنسانية والطبيعة وقيم الحياة.

- ولذلك ثاروا على التقليد، ودعوا إلى الاهتمام بالمضامين الإنسانية والتعبير الوجداني دون تعقيد.

- واهتموا في ذلك بالوحدة العضوية في القصيدة؛ وهي وحدة المعنى والعاطفة والخيال.

- وعلى مستوى اللغة دعوا التحرر من الأساليب الكلاسيكية، لكنهم اهتموا بجودة اللغة وقدرتها على التصوير وثرائها في تقديم الأدوات البيانية، مع محافظتهم على مميزات اللغة العربية من قوة وإحكام في الصياغة، وسعوا إلى تحميل المفردات والتراكيب دلالات جديدة توافق طبيعة العصر؛ فجبران خليل جبران مثلا كان كثير الإعجاب والحفظ للشعر الجاهلي، مع دعوته للابتكار والتحرر اللفظي والبياني في الشعر، لتأثره بالأدب الأمريكي.

- وقد تركزت مضامين أدبهم في: الحرية، والحنين إلى الوطن، ووصف الطبيعة، والتأمل الوجودي، والألم والحزن.

– أما على مستوى النقد الأدبي فأبرز من يمثله في الرابطة القلمية هو الناقد 'ميخائيل نعيمة' بآرائه النقدية حول وظيفة الأدب ومهمة الناقد ومنهجه، ويظهر ذلك في مؤلفه النقدي القيم (الغربال).

3– التعريف بميخائيل نعيمة وكتابه الغربال:

ولد الأديب والناقد اللبناني ميخائيل نعيمة في جبل صنين لبنان سنة 1889م، نشأ نعيمة في مكان ولادته، ودرس المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدرسة الجمعية الفلسطينية في بلدته بسكنتا، سافر بعد ذلك في عام 1905 لإتمام دراسته في أوكرانيا حيث أمضى فيها خمس سنوات في جامعة بولتافيا.

اطلع خلال هذه الفترة على الأدب الروسي وأتقن اللغة الروسية، وفي العام 1911م انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإتمام دراسة الحقوق فيها.

بعد أن أنهى ميخائيل نعيمة دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية لم يعد إلى وطنه لبنان، بل استقر فيها ما يقارب العشرين عاما وحصل خلالها على الجنسية الأمريكية، كما انضم إلى أدباء المهجر وأسهم في تأسيس الرابطة القلمية.

في العام 1932 عاد ميخائيل نعيمة إلى لبنان واستقر في بلدة الشخروب والتي جذبه إليها طبيعتها الساحرة وحبه للتأمل، وبقي فيها حتى عام وفاته 1988م.

أما عن تجربة ميخائيل نعيمة الأدبية فكانت تجربة غنية جدا، وكان واحدا من أهم الأدباء العرب الذين أسهموا في النهضة الأدبية والفكرية العربية في النصف الأول من القرن العشرين، وقد تنوعت الكتابات التي قدمها ميخائيل نعيمة بين القصص والروايات والأشعار والمقالات والمسرح والنقد؛ تجلت فيها آراؤه وفكره العقائدي والسياسي والفلسفي والاجتماعي، منها: ديوان همس الجفون، ومسرحية آباء وأبناء، وكتاب الغربال.

ويعد كتاب الغربال الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1923م، من الكتب المهمة في النقد العربي الحديث، وهو مجموعة مقالات نشرها الناقد في الصحف وبعض مقدمات أعماله، ويقوم كتاب الغربال على بيان مفهوم الغربلة التي توازي عملية النقد، وقد تناول نعيمة في كتابه عديد القضايا النقدية أهمها النقد والناقد.

4- النقد والناقد عند ميخائل نعيمة:

النقد الأدبي عند ميخائيل نعيمة هو "تقويم العواطف والأحاسيس والأفكار، والتمييز بين جيدها ورديئها وجميلها وقبيحها"؛ فالنقد عنده يكمن في التمييز بين الأعمال الأدبية، وقد شبه العملية النقدية بعملية الغربلة التي تهدف إلى فصل الجيد من الرديء عبر ثقوب الغربال.

وقد رأى نعيمة أن الناقد في هذه العملية ليس مقوما ومرتبا وممحصا فحسب، وإنما هو مبدع ومولّد ومرشد.

- "**مبدع** لأنه يرفع الستر عن جوهر الأثر المنقود، ويكشفه للآخرين ولصاحب الأثر نفسه"، فنعيمة يرى أن الأديب حينما ينتج نصه لا يهتم بما سيكتب بعده من دراسات ونقد، فالمهم عنده أن يسد حاجته الروحية، والناقد يكون سببا في خلود هذا النص من عدمه.

- **مولّد**؛ فالناقد يبدع كما يبدع الأديب، لأنه عندما يقوم بوضع المقاييس الأدبية يكشف نفسه للآخرين، وفي الواقع يولد أفكار جديدة "فهو إذا استحسن أمرا لا يستحسنه لأنه حسن في ذاته، بل لأنه ينطبق على آرائه في الحسن، وكذلك إذا استهجن أمرا، فلعدم انطباق ذلك الأمر على مقاييسه الفنية".

- **مرشد**؛ لأنه يطلع الأدباء على محاسن عملهم ومساوئه، فالناقد يقيم آثار الأديب ويحدد قيمتها الفنية، وهو الذي يرفع من شأنها أو يحط منه.

ويؤكد ميخائيل نعيمة على ضرورة الفصل بين العمل الأدبي ومؤلفه في العملية النقدية، ويرى أن هذه هي مهنة الناقد الحقيقية، يقول: "إن مهنة الناقد الغربلة، لكنها ليست غربلة الناس، بل غربلة ما يدوّنه قسم من الناس من أفكار وشعور وميول، وما يدونّه الناس من الأفكار والشعور والميول هو ما تعودنا أن ندعوه أدبا، فمهنة الناقد، إذن هي غربلة الآثار الأدبية لا غربلة أصحابها (...) والناقد الذي لا يميز بين شخصية المنقود وبين آثاره الكتابية ليس أهلا لأن يكون من حاملي الغربال"، إذ تظهر نظرته الموضوعية إلى العمل الأدبي من خلال ذلك، ولكنه ينزع نزعة رومانسية ذاتية، ويحدد منهجه بالانطباعية.

فغاية النقد، في نظر نعيمه، تنحصر في تسجيل انطباعات الناقد، يقول: "إن لكل ناقد غربااله، لكل موازينه ومقاييسه، وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا في السماء ولا في الأرض، ولا قوة تدعمها وتظهرها قيمة صادقة سوى قوة الناقد نفسه، وقوة الناقد هي ما يبطن به سطوره من الإخلاص في النية والمحبة لمهنته، والغيرة على موضوعه، ودقة الذوق، ورقة الشعور، وتيقظ الفكر، وما أوتيه بعد ذلك من مقدرة البيان لإيصال ما يقوله إلى عقل القارئ وقلبه"، فهو يركز على القوة الفطرية لدى الناقد التي تمكنه من وضع مقاييسه الخاصة لتقييم العمل الأدبي، وقد سمى محمد مندور منهج ميخائيل نعيمة (بالمنهج التأثري الذاتي)، الذي يدل على الاتجاه الرومانسي له باعتباره يركز على ذاتية الناقد.

ولذلك حدد نعيمة مقاييس أدبية أربعة ارتبطت بهذا المنهج، وقد وضع هذه المقاييس المطلقة حسب حاجات الناس النفسية؛ لأن الأدب في نظره أمر روحي، وهذه الحاجات المشتركة والثابتة بين الناس على اختلاف أزمانهم وبيئاتهم، وهي:

- حاجة الإنسان إلى الإفصاح عما ينتابنا من الحالات النفسية والروحية؛ من رجاء ويأس، وفوز وإخفاق، وإيمان وشك، وحب وكره...

- حاجة الإنسان إلى نور يهتدي به في الحياة، وهو نور الحقيقة: حقيقة ما في نفسه، وحقيقة ما في العالم.

- حاجة الروح إلى الجميل في كل شيء.

- حاجة الروح إلى الموسيقى.

وبناء على هذه الحاجات وضع نعيمة مقاييس أدبية، ودعا إلى استخدامها، ورأى بأنها المقاييس الثابتة التي يجب أن نقيس بها الأدب؛ وهي:

- إلى أي مدى يقدر النص المنقود على أن يفصح عما يجول في نفس الإنسان؟
- إلى أي مدى اهتم بمسألة الحقيقة؟
- هل رسم الأديب الجمال؟
- إلى أي حد انتبه إلى عنصر الموسيقى؟

ويرى نعيمة أن العمل الأدبي لا يبلغ درجة الأدبية إلا إذا تميز باستجابته لهذه المقاييس الأربعة؛ بحيث "تكون قيمته بمقدار ما يسد من بعض هذه الحاجات أو كلها، ويكون أثمنه أجلاه بيانا، وأغناه حقيقة، وأطلاه رونقا، وأشجاه وقعا".

والملاحظ أن ميخائيل نعيمة يؤكد على النقد الذاتي (الانطباعي) من جهة، ويؤكد على حاجة الأدب إلى مقاييس ثابتة مطلقة من جهة أخرى، ولكنه جمع بين الأمرين بقوله إنه يمكن أن تكون هذه المقاييس ثابتة لدى الناس جميعا في كل زمان ومكان، لكن مدى إدراكها يتوقف على ذات الفرد.